الأعياد في مصر القديمة

الأستاذ الدكتور عبد الحليم نور الدين، أستاذ اللغة المصرية القديمة، بكلية الآثار، جامعة القاهرة
ومستشار مكتبة الإسكندرية

الأعياد في مصر القديمة

احتوت السنة المصرية على العديد من الأعياد وأيام العطلات، منها؛ ما ارتبط بتقويم السنة (أول السنة، ونصف الشهر، وبداية الفصول)، ومنه ما ارتبط بالزراعة (البذر، الحصاد والفيضان)، ومنه ما ارتبط بالملك (التتويج، والعيد الثلاثيني)، ومنها ما ارتبط بالحياة الجنائزية. أما أعياد الموتى فكانت ترتبط بزيارة أسر الموتى لمقابرهم لتقديم الطعام لهم، وهو عيد منتشر في مصر كلها.

ولقد كانت الأعياد ذات أهمية كبيرة في مصر القديمة، حيث خصص المصري لها أيامًا، فيذكر لنا حجر بالرمو أعياد الآلهة (مثل: عيد حورس، وسكر، ومين، وأنوبيس وسشات). ومن خلال قوائم الأعياد الموجودة في معابد وكوم أمبو، وإدفو، وإسنا ودندرة، نستطيع تتبع أعياد بعض من الآلهة، مثل حتحور وسخمت.

وبالنسبة للمواقع الأخرى، فقد أمكن التوصل لأعياد بعض الآلهة مثل:

- عيد خنوم وعنقت (في إلفنتين)، ابتداءً من 18 هاتور.
- عيد ساتت وعنقت (في إقليم الجندل الأول) ابتداءً من 28 هاتور.
- عيد اللقاء الجميل في إدفو.
- ثلاثة أعياد في إسنا، وهي عيد رفع السماء، وعيد وصول نيت إلى سايس، وعيد الإمساك بالفأس.
- ثلاثة أعياد في دندرة، وهي عيد شرب الخمر، وعيد ولادة الإلهة، وعيد اللقاء الجميل.
- عيد السنة الجديدة في إدفو ودندرة، والذي كان يتم الاحتفال به في جميع المعابد. وهناك تفاصيل أكثر عن هذين المعبدين، وخاصة معبد دندرة الذي يعطينا وصفًا لما يتم من احتفالات في الليلة التي تسبق هذا العيد.

أما في سايس وأبيدوس، فكان يتم الاحتفال بأوزير، من حيث معاركه، وموته وبعثه من جديد.

وتنقسم الأعياد إلى عدة أنواع:

- أعياد رسمية: يتم الاحتفال بها في مصر كلها، (وهي: عيد السنة الجديدة، وعيد أول الشهر، وأعياد نصف شهرية، وبداية الموسم، وعيد الفيضان، وتتويج الملك).
- أعياد محلية: خاصة بإقليم أو مدينة معينة: (عيد ميلاد الإله المحلي، وعيد انتصار الإله على عدوه).
- أعياد خاصة: أعياد شعبية تتعلق بفئة معينة أو مناسبة معينة خاصة بمجموعة أو مكان معين، وأعياد الزواج والميلاد.
- أعياد دينية.
- أعياد زراعية.
- أعياد جنائزية.

وإذا كانت هناك أسباب ظاهرة للأعياد، فإن هناك أسبابًا خفية تتمثل في تخليد أحداث معينة من قصص الآلهة لتمثل أمام الشعب في مناسبات مختلفة.

وأثناء هذه الأعياد كانت ترتل أناشيد للطقوس، وتزين المعبد وتضاء، وتقدم القرابين. ومن أهم طقوس الأعياد أن يرى الشعب صورة (تمثال) سيده (الإله) التي كانت تخرج من المقصورة، وتنقل إلى مكان ظاهر بعد أن تزين بالتمائم وقلائد الذهب، وتوضع في قارب حيث كانت السفن بوجه عام تمثل للمصري القديم وسيلة النقل المعروفة والأكثر انتشارًا، وكانت توضع أمام الإله أعلام مزينة بصورة إلهية مثل (وب واوت)، أي: (فاتح الطرق)، وعند الدخول للمعبد يوضع تمثال الإله على قاعدة حجرية عالية ليراها كافة الناس، ويقدمون القرابين والبخور والأدعية.

وكبلد زراعي بالدرجة الأولى، فقد احتفل المصريون بعدد لا بأس به من الأعياد الزراعية؛ مثل أعياد النيل، وأعياد الحصاد في جميع أنحاء مصر؛ مثل الأعياد المخصصة لرننوتت إلهة الحصاد، أو "مين" إله الخصوبة، والتي كانت تقام في فصل الحصاد (الصيف). وفي شهر "كياك" كانت تقام أعياد حرث الأرض التي يمثل فيها الإله أوزير الذي يموت ثم يبعث مثل الأرض التي ينمو فيها الزرع.

وقد اشتملت قوائم أعياد المصري القديم على أنواع أخرى من الأعياد: (أعياد دينية، وأعياد ملكية)، ومن أمثلة الأعياد الدينية:

عيد الإله مين

ويقام هذا العيد في الشهر الأول من فصل الحصاد لارتباط هذا الإله بصفة الخصوبة. وفي أثناء هذا العيد يطلق الملك مجموعة من الطيور في اتجاه الشرق، والجنوب، والغرب والشمال، كرمز لتجديد قوته، كما كان يتم بناء أشكال مخروطية ضخمة.

عيد "إبت"

وهو عيد انتقال آمون من معبده في الكرنك إلى معبده في الأقصر. وقد عرف هذا العيد من خلال مناظر معبد الأقصر التي ترجع لعهد الملكين توت عنخ آمون وحور محب. ومن خلاله كان الإله آمون ينتقل من الكرنك إلى الأقصر، ثم يعود إلى الكرنك. تبدأ الاحتفالات من معبد الكرنك حيث يقدم الملك القرابين (لحوم، زهور، فاكهة، طيور، لبن وعطور)، كما يقوم بالتبخير ورش الماء أمام قارب آمون الذي يطلق عليه (وسرحات)، وأمام قاربي موت وخونسو. ويمكن التعرف عليهم من مقدمة المركب ومؤخرتها، والتي كانت تزين برأس الإله صاحب المركب.

يخرج الموكب من الصرح العاشر للمعبد، والكهنة يحملون قوارب ثالوث طيبة (آمون، وموت، وخونسو) فوق أكتافهم، وكان قارب آمون يحمله ثلاثون كاهناً، يبدأون من قدس الأقداس إلى داخل المعبد، ثم يخرجون من الصرح الثالث، ويصلون إلى شاطئ النيل، وهنا يضعون قوارب الآلهة المقدسة على مراكب حقيقية، وتتجه المراكب شمالاً مع التيار باتجاه معبد الأقصر.

وعلى ضفاف النهر تقف جموع المواطنين والموسيقيين لتحية الموكب، كما تقف كاهنات موت ومعهن الآلات الموسيقية، كما تقف الشرطة لتنظيم الاحتفال. وعند النيل تنزل المراكب تتبعها مراكب القرابين. وعلى الشاطئ أمام معبد الأقصر يقف الناس يهللون ويهتفون ويساعدون في دفع المراكب في سعادة، ويرقصون ويرتلون الأناشيد ويعزفون بالصلاصل.

وعلى الطريق المؤدي إلى معبد الأقصر، تقام أبنية صغيرة يقدم فيها الكهنة القرابين. وعند الوصول للمعبد يقوم الملك بنفسه بطقوس القرابين، والحاشية تنتظر أمام قدس الأقداس. وتبقى المواكب خلال عشرة أيام في هدوء داخل معبد الأقصر تقدم لها القرابين كل يوم، وتتم العودة إلى الكرنك بنفس الأسلوب.

وعلى جانبي النيل يقف الجند والحاشية لاستقبال المواكب، وعند الرجوع للكرنك تقدم القرابين. ويستمر الاحتفال بهذا العيد فترة تستغرق من 11 إلى 24 يومًا، ويحتفل سكان الأقصر إلى اليوم بأعياد مماثلة؛ مثل عيد سان جورج (الأقباط)، وعيد أبو الحجاج (المسلمين)، وفيها يتنزه الناس في نفس التوقيت في مراكب في النيل.

عيد اللقاء الجميل

وهو العيد الذي كانت تتجه فيه الإلهة حتحور من معبد دندرة كل عام لتمضي 15 يومًا في معبد إدفو مع زوجها حور. وكانت هذه الرحلة مناسبة سعيدة يشترك

فيها الشعب. كانت حتحور تترك معبدها قبل خمسة أيام من اكتمال القمر، وعلى حافة النهر تقدم لها القرابين (لحوم– طيور، وكل ما هو طيب)، ثم يتحرك مركبها مع عدد من الكهنة، وتصحبها مجموعة أخرى من المراكب، وعلى رأسها مركب حاكم المدينة، بالإضافة إلى مراكب الحجاج الذين كانوا يصحبون المركب من دندرة إلى إدفو.

لم تكن الرحلة تتم مباشرة، وإنما كانت مركب الإلهة تتوقف في الكرنك لتزور الإلهة موت سيدة "إشرو"، ثم تتوقف في ميناء جنوب "إسنا" حيث يقدم حاكم هذه المدينة الأطعمة للحجاج: (500 رغيف من الخبز، و100 آنية من النبيذ، و30 كتفًا من الماشية). وفي طريقها لإدفو يزداد عدد الحجاج الذي يصحبونها، ثم تتوقف في نخن (الكوم الأحمر)، ليلحق بها الإله حور إله نخن. وفي إدفو نرى حور وحاملي أعلامه وقد تركوا المعبد انتظارًا للإلهة على شاطئ النهر بصحبة رئيس مدينة إدفو مع مجموعة الكهنة والحجاج. وعلى الشاطئ يعد مرسى لاستقبال مركب حتحور، حيث تقدم لها القرابين وترتل الصلوات من كتاب (حماية المركب المقدسة)، وتقدم الخمر ورمز الأرض المزروعة، ثم تطلق الأربع أوزات (رمز الجهات الأربعة الأصلية)، ثم يصطحبها الإله حور إلى الماميزي (بيت الولادة)، حيث يقضون الليل.

في الصباح تبدأ الطقوس في حضور الموسيقيين والراقصات. ثم تبدأ رحلة الزوجين لزيارة المعبد الذي دفنت فيه آلهة تاسوع آتوم المحنطين. وتستمر الاحتفالات حتى اليوم الثالث عشر. وبعد انتهاء مراسم العيد تبحر المراكب من جديد عبر نفس طريق الذهاب، وينفض الحجاج كل في اتجاه مدينته.

عيد السنة الجديدة

يبدأ هذا العيد في الليلة التي تسبق السنة الجديدة، حيث يتوجه مجموعة من كبار الكهنة يقودهم كبير الكهنة (الذي يحل محل الملك في أداء الطقوس)، وهم أربعة

كهنة أساسيون في المعبد، والكاهن المرتبط بدندرة، والذي يطلق عليه عازف الموسيقى.

تتوجه هذه المجموعة إلى المقصورة الموجودة أقصى يمين الحائط الجنوبي، ويطلق عليها (بيت اللهب)، ويبدأون في النزول إلى القبو حيث يصلون إلى الغرفة الأولى التي تحتوي على مقصورة بها تمثال الإلهة حتحور (على شكل طائر برأس آدمي مصنوع من الذهب أو من الخشب المذهب)، حيث يقومون بأداء بعض الطقوس، ثم يحملون التمثال إلى القبو ليصعدوا به إلى (بيت اللهب)، حيث ينتظر مجموعة من حملة الأعلام.

يبدأ الموكب في التحرك إلى الغرفة الطاهرة التي تجري فيها مجموعة من الطقوس التي يطلق عليها (ترتيب التيحان)، تحصل أثناءها الإلهة على 8 تيجان مختلفة من ثامون هليوبوليس، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الحلي والأقمشة، ثم تخضع الإلهة للتطيب والتبخير. بعد انتهاء هذه العلميات يحين وقت وضع الأطعمة المختلفة على الموائد (خبز، ولحم، وحلوى، وحيوانات كاملة، وطيور، وعطور وباقات من الزهور) بالإضافة إلى أدوات الإلهة حتحور الخاصة: (الصلاصل، والتاج الذهبي، وإناء الخمر الذي كان يقدم في عيد الخمر).

ثم يصعد الموكب إلى سقف المعبد عن طريق السلم، حيث نرى هنا تتابع حملة الأعلام والكهنة الذين يرتدون أقنعة الإلهة، ويحملون القرابين، ويسبقهم الملك والملكة، وتتلى أثناء الصعود الأناشيد المصاحبة للعيد. وعند الوصول للسقف يوضع التمثال في المقصورة الخاصة به، والتي تتخذ الأعمدة الخاصة بها الشكل الحتحوري.

وحول المقصورة توضع القرابين، وهنا يتحقق أهم حدث، وهو الاتحاد مع قرص الشمس، والذي يحدث عند بزوغ أشعة الشمس أول أيام العام الجديد.

عيد الوادي أو عيد آمون في الوادي

في هذا العيد يتوجه الملك بعد أن يرتدي ثيابه الفاخرة وتاجه، للبحث عن آمون في معبده، وذلك لدعوته لزيارة (وادي الأموات) في غرب طيبة. وكان عبور النهر يتم في موكب تقودها الآلهة. وكان هذا العيد يستمر أحد عشر يومًا في فترة حكم تحتمس الثالث، وأربعة وعشرين يومًا أثناء الأسرة التاسعة عشرة وسبعة وعشرين يومًا أثناء حكم رمسيس الثالث.

ومن بين الاعياد الملكية:

العيد الثلاثيني (حب سد)

في هذا العيد (ويطلق عليه عيد اليوبيل الثلاثيني)، يتم الاحتفال بانقضاء العام الثلاثين للملك لارتقاء العرش، ويظهر الملك على عرشه في كامل قوته، ويعاد بناء مقاصير اليوبيل في المعابد من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وتكرر الطقوس مرتين للملك حاكم الجنوب والشمال.

عيد تولي الملك العرش

أمكن من خلال حجر بالرمو التعرف على المراحل الثلاثة التي يمر بها هذا العيد وهي:

1- ظهور ملك الأرضين: وفيها يصعد الملك نحو مبنى مرتفع يضم مقصورتين ظهرًا لظهر، في كل منها عرش، ويجلس الأمير على كل عرش منهما، حيث يرتدي في المرة الأولى التاج الأبيض، ويظهر كملك مصر العليا، وفي المرة الثانية يرتدي التاج الأحمر، ويظهر كملك مصر السفلى.

2- اتحاد الشمال والجنوب (سماتاوي): وهو طقس يتم في حضور الملك، ويقوم به الإلهان (حور، وست)، أو الكهنة الذين يؤدون وظيفة الآلهة، وفيه يتم ربط نباتي الشمال والجنوب حول عمود يرمز للتوحيد.

3- الجري حول الحائط: وفيه يسعى الملك حول جدار رمزي يرمز لجدار منف[1].

عيد وضع حجر الأساس للمعبد وعيد افتتاح المعبد

في هذا العيد يغادر الملك قصره ومعه حملة الأعلام ليذهب إلى مكان المعبد، تساعده الإلهة سشات، ويقوم بوضع أوتاد لوضع حدود المعبد، ثم يصل بينهما بالحبال، ويبدأ في حفر الأرض ورسم حدود المعبد، ثم يبدأ في صب الرمال وتجهيز أحجار الأساس التي توضع في أركان المعبد الأربعة، وتتخذ أشكال الآلهة الحامية وسبائك الذهب وقطع من الأحجار الكريمة ونصف الكريمة. وعند انتهاء عمليات البناء، يحضر الملك افتتاح المعبد، فيلقي أولاً بحبوب البخور حول المعبد لتطهيره، ثم يهب المعبد وهو يرفع يده اليمنى في حركة طقسية، وأحياناً نرى الملك يضرب باب المعبد بعصاه البيضاء اثنتي عشرة ضربة.

(21) راجع: باسم سمير الشرقاوي، كهنوت منف حتى بدايات العصر البطلمي، رسالة ماچستير غير منشورة (كلية الآداب-جامعة عين شمس،2003 م)، ج1، 353، 355-356، 367-370.